افضل بكثير من نوعية الافلام التجارية . ومن هذه الافلام « السكين » و « المخدوعون » و « نحن بخير » وغيرها . ولربما ان ذروة الافلام « الفلسطينية » الجيدة سيكون فيلم « سافاري » الذي تنتجه مؤسسة السينما القومية في الجزائر والتي سلكت في انتاجه طريقا مثل الطريق التي اقترحتها المؤسسة السينمائية العالمية التي جاء ذكرها في بداية الحديث مع فارق واحد هو ان المؤسسة الجزائرية نفسها قامت بتمويل المشروع وستقدم جزءا كبيرا من ارباحه لحركة المقاومة كما فهم .

لقد بات انتاج الفيلم الفلسطيني غير قاصر على الفلسطينيين مثلما ان القضية الفلسطينية لم تعد ذات انتماء جغرافي محدود . ومما يدهش ويبعث على الاعتزاز عدد المخرجين الشبان العراقيين والسوريين الذين انتجوا افلاما فلسطينية . ومن بينهم من ينتظر له مستقبل لامع في عالم السينما . ولم التق بمخرج عربي شاب في اي قطر من الاقطار العربية الا وذكر لي ان حلمه الاكبر هو انتاج فيلم ذي قيمة عن فلسطين . ولعل هذا ليس دليل شعور قومي فحسب بل لان القضية ذاتها هي قضية كبرى تمس اوتار قلوب الملايين في العالم . الا انه بقدر ما قد يكون هذا مفيدا وهاما بقدر ما هو في حاجة الى العناية والتنسيق . فقد تصبح القضية الفلسطينية ، او هي اصبحت ، مسرحا للافلام التجريبية يجرب عليها كل مخرج جديد ما في رأسه من نظريات وافكار قد لا تكون مطابقة لعالم الواقع او للمرغوب والمطلوب . وقد ثبت ان الكثيرين من غير المتعمقين في فهم القضية الفلسطينية ، وهي تحتاج بالفعل الى تعمق في الفهم ، يحملون افكارا خاطئة او اخطاء شائعة . وليس اخطر من ترويج الفهم الخاطىء وتكريسه. اقول هذا وقد رأى الواحد منا نفسه احيانا وكأنه يريد ان يضرب نفسه او يمزق شاشة السينما وهو يرى بعض الافلام « الفلسطينية » .

وقد اغرق بعض مخرجي الافلام « الفلسطينية » في الرمزية والسيريالية والتعبيرية واللاشيئية في الوقت الذي ما تزال الحاجة فيه ماسة للافلام الوثائقية الواقعية والمبسطة . فطلاب المدارس في الوطن العربي الذين لا يرون « اسرائيل » على الخارطة في اطالسهم والذين يعرفون حق المعرفة ان اسرائيل تحتل اراضي ثلاث او اربع دول عربية ، هؤلاء هم في امس الحاجة الى مثل هذه الافلام التي تشرح لهم القصة من اولها وتبين لهم ان فلسطين كانت مأهولة بالعرب . ليس هؤلاء فقط هم في حاجة الى مثل هذه الافلام بل ان العالم الخارجي هو في حاجة اليها ايضا . انك لا تستطيع ان تقول الشعر لاناس لم يتمكنوا بعد من فهم الجمل المفيدة ومعرفة معاني المفردات .

اخبرني غي هونيبل الناقد السينمائي الفرنسي ان الافلام الفلسطينية في اوروبا تكاد تكون غير موجودة وان وجدت افلام تعرض الجانب العربي من القضية فغالبا ما تكون من صنع الاوروبيين وهي افلام لا تعطي القضية حقها . وقال ايضا « ان الجو مشبع بالافلام الصهيونية وفيها الكثير من الافلام الجيدة سينمائيا والتي لا بد وان تترك اثرا على الشباب والرأي العام الاوروبي » . اننا نحتاج الى افلام جيدة للعرض في الخارج ، لا افلام هواة وافلام تجريبية . ولكن كيف يمكننا الوصول الى الافلام الجيدة على المستوى العالمي ونحن لم نبدأ بعد في انتاج الافلام البسيطة المبسطة عن قضيتنا؟ لقد عولجت قضية السينما حتى الان على مستوى الحكومات والجامعة العربية والمنظمات معالجة عجيبة غريبة لم تخل من المفارقات المؤلمة . ان فيلما سينمائيا عن القضية الفلسطينية عرض على لجنة الاعلام في الجامعة العربية . فتحول ممثلو الدول الى نقاد وحكموا جميعهم على الفيلم بأنه غير صالح للعرض في الخارج . وبقدرة قادر صار ذلك الفيلم صالحا للعرض بعد « ادخال بعض التعديلات عليه » واشترته الجامعة بثمن لا بأس به للعرض في الخارج . ولقد احست الجامعة نفسها باختلاط الحابل بالنابل في موضوع الافلام السينمائية . واعترف لي احد المسؤولين في ادارة الاعلام في جامعة الدول العربية بأن « تجاربنا مع الافلام السينمائية مفجعة » . لذلك فقد رأت ان يتم نوع من التنسيق والاشراف في هذا الموضوع واقترحت اقامة مهرجان سينمائي لافلام القضية الفلسطينية في شهر اذار من العام القادم في بغداد على ان تتولى الحكومة العراقية الاعداد للمهرجان والاشراف عليه . قد تكون قضية السينما الفلسطينية قد بدأت تسير نحو حل باتجاهها الى بغداد في اذار القادم . ولكنني اقترح ان يكون اذار القادم في بغداد نقطة انطلاقة حقيقية للسينما الفلسطينية ويجب الاعداد لها منذ الان .